

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (326)

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم

سعيد احمد*

For a specific understanding and interpretation of the Holy Quran, Arabic language is not enough but other verses of the Holy Quran of the same content, sunnah of the prophet and the reasons of the revelation are of great importance too. So in this article we have tried our best with solid arguments to prove that to understand the Quranic verses is not possible only with the help of arabic lexicon but other sources are of great importance too.

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين، وأنزل على خاتم النبيين كتابا، بلسان عربي مبين، وعلى اله وصحبه أجمعين.

وبعد! فإن القرآن كتاب سماوي والهي حيث لا يمكن للفرد أن يستنبط معاني القرآن الكريم دون مراعاة اللغة وما يدور حولها من مجاز واستعارة وكناية وبقية روافد فنية بلاغية وهكذا لا يستطيع أن يحدد المعاني القرآنية حسب عقله وفكره بل لا بد أن يلجأ إلى الاستخدام اللغوي الجاري في ذلك الوقت وإلى الاستعمالات اللغوية الشعرية وما طرأ فيها من تغييرات وتبديلات في هذا الصدد فضل عما فسره النبي ﷺ وذلك أن النبي ﷺ فسّر القرآن وشرحه للناس ما استعصى عليهم من غموض وإبهام حيث لا يوجد مجال إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم فيما فسره كما قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١)

ويقول شيخ الاسلام: ومما ينبغي أن يعلم أن الالفاظ الموجودة في القرآن والحديث اذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء، الاسماء ثلاثة أنواع.

نوع يعرف حده بالشرع كالصلوة والزكاة

ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر

ونوع يعرف حده بالعرف كالقبض ولفظ المعروف (٢)

* ليكهر، گورنمنٹ پوسٹ گريجوایٹ کالج، چناب نگر، چنیوٹ

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (327)

ومن ثم تعتبر لغة القرآن الكريم من أهم الادوات لفهمه وتفسيره ولا يصح فهمه وتفسيره إلا بطريق فهم اللسان الذي نزل فيه ولذا يجب على المفسر ان يكون على معرفة تامة لقواعد اللغة العربية واصولها ودلالاتها.

اذ وجدت في عصرنا الحاضر بأن هناك ناس غير مثقفين وليس لهم المأم باللغة العربية كما ليس لهم الاطلاع الواسع على معرفة هذه الروافد اللغوية وبدوا يدلون بدلهم في تفسير القرآن الكريم على أساس فكرهم الخاص ورأيهم الفري اذ لا علاقة له بما يتمثل المعنى في رأيهم الكريم فقد تعرض لهذا الموضوع العلماء قديما وحديثا ووضعوا قوانين صارمة في هذا الصدد كما قال الشاه ولي الله:

”وأما لغة القرآن فينبغي أخذها من استعمال العرب الاول ولكن الاعتماد الكلّي على اثار الصحابة والتابعين-“ (٣) وقال شيخ الاسلام:

”وأما تفسير القرآن بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبيّن معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لا سيما كثيرا ممن يتكل فيه باحتمالات لغوية فان هؤلاء أكثر غلطا من المفسرين المشهورين فانهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون“ (٤)

وقال ابن القيم: ”للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه فهذا أصل من أصوله بل هو أهم أصوله-“ (٥)

مفردات القرآن في حصر اللغة لأداء المفهوم الأوسع أراده القرآن

بعض الكلمة يستعمل في معان متعددة حسب مقامه في القرآن الكريم- الكلمة تستعمل في هذا المقام في معنى وفي الآخر في معنى آخر- حينئذ لا يتعين المعنى باللغة بل بمفهوم القرآن وسياقه- كما ذكر شيخ الاسلام على قول الله عز وجل :

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ٦﴾

هاتان الايتان مشتملان على آداب نوعي الدعا - دعاء العبادة و دعاء المسئلة- فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما- وهما متلازمان - فإن دعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره و دفعه وكل من يملك الضر والنفع فانه هو المعبود - لا بد ان يكون مالكا للنفع والضر-

وهذا كثير في القرآن يبين تعالى أن المعبود لا بد ان يكون مالكا للنفع والضر، فهو

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (328)

يدعو للنفع والضر - دعاء المسألة ويدعو خوفاً ورجاءً دعا العبادة فعلم أن النوعين متلازمان
فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.

وعلى هذا فقله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٧)

يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت الآية - قيل أعطيه إذا سألتني وقيل أُنبيه إذا عبدني -
والقولان متلازمان وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما أو استعمال اللفظ
في حقيقته و مجازه بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للامرين جميعاً.

فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع - وقل ما يفتن له واكثر آيات القرآن دالة على معنيين
فضاعداً فهي من هذا القبيل - مثال ذلك قوله تعالى:

﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ (٨)

فسر "الدلوك" بالزوال وفسر بالغروب - وليس بقولين بل اللفظ يتناولهما معاً فان
الدلوك هو الميل ودلوك الشمس ميلها ولهذا الميل مبتدأ ومنتهى ، فمبتداه الزوال ومنتهاه
الغروب واللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار -

ومثاله أيضاً تفسير "الغاسق" بالليل - وتفسيره بالقمر - فان ذلك ليس باختلاف بل
يتناولهما لتلازمهما - فان القمر آية الليل ونظائره كثيرة - (٩)

الاصطلاحات الشرعية معرفتها موقوفة على الشرع

القرآن أول كتاب دَوّن في اللغة العربية وهو واضع النثر الفني ومنبع المعاني
والاساليب والمعارف التي شاعت في ادب ذلك العصر، نزل بأسلوب بديع لاعهد للأذان ولا
للاذهان بمثله - (١٠)

ومن آثاره أنه حول العربية إلى لغة ذات دين سماوى وبذلك أحل فيها معاني لم تكن تعرفها من
قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها - وعادة يقف مؤرخو الادب عند الفاظ ابتدائها ابتداء مثل -

الفرقان، والكفر والايمان والشرك، الاسلام والنفاق والصوم والصلوة والزكاة
والتييمم والركوع والسجود، الجنة، الجحيم، النسك، الملائكة، التزكية، الآخرة ولكن من
الحق أن المسألة لم تكن مسألة ألفاظ فحسب انما كانت ايضاً مسألة دين جديد له مضمونه
الذي لم يكن العرب يعرفونه -

فالمراد بهذه المعاني الشرعية او الحقائق الشرعية هنا - أن الشارع يستعمل بعض

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (329)

الالفاظ إستعمالاً خاصاً فيوردها مقيدة فتدل على معين يريد به الشارع - وهذا كلفظة الصلاة، والصيام والحج ونحو ذلك - فانها تطلق ويراد بها تلك العبادات المعروفة مع أن لهذه الالفاظ معانٍ أخرى في أصل وضعها اللغوي - فالصلوة معناها في اللغة الدعاء والصيام معناه الامساك والحج بمعنى القصد - وبذلك يعلم أن الشارع ينصرف في الاسماء اللغوية بالتقييد تارة وبالتعميم تارة وبا التخصيص تارة - قال شيخ الاسلام :

” والتحقق أن الشارع لم ينقلها يعني الاسماء الشرعية ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما يستعمل نظائرها كقوله تعالى :

﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾ (١١)

فذكر حجاً خاصاً وهو حج البيت - وكذلك قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ اَوْ اعْتَمَرَ﴾ (١٢) فلم يكن لفظ الحج متناوياً لكل قصد بل لقصد مخصوص دلّ عليه اللفظ نفسه من

تغيير اللغة - (١٣) وعليه يقال : ”إن الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة“ (١٤)

الكلمات التي لا تدرك اللغة كنهها بظاهر الكلام

١- الوجوه والنظائر

قال الامام الزركشي :

”الوجه“ اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة -

”النظائر“ كالالفاظ المتواطئة -

قيل النظائر في اللفظ والوجه في المعاني وضعف - لانه لو أريد هذا لكان الجمع في الالفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجه نوعاً لا قسام والنظائر نوعاً آخر كالامثال -

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل - ولا يوجد ذلك في كلام البشر - (١٥)

”والامام يذكر تحت هذا العنوان كلمات ذو جهات كثيرة - كل كلمة تستعمل في عدة معانٍ حسب سياق الآية ومقامه من الكلام بل فوق ذلك أن الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر - وليس في استطاعة البشر أن يحوز مثل هذا الاعجاز فكيف يحيطه لغوى ويدرك كنه الكلمة مع ان امامه ظاهر الكلام -

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (330)

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة. فمنه الهدى سبعة عشر حرفاً.

الهدى بمعنى البيان ، الدين ، الايمان ، الداعي ، الرسل ، الكتب ، المعرفة ، الرشد بمعنى محمد ﷺ ، بمعنى القرآن ، وبمعنى التوراة الاسترجاع ، الحجّة ، التوحيد ، السنة ، الاصلاح ، الالهام وبمعنى التوبة وذكر الامام لكل معنى شاهداً من آية القرآن الكريم - (١٦) ونقل الامام الزركشى رحمه الله من كتاب الافراد لابن فارس:

كلمات يستعمل في جميع القرآن في معنى واحدٍ إلا في موضع من الكلام هو نفس الكلمة يؤدي معنى غير ذلك هو يناسب سياق الآية - وهذا من لطائف كلام الله وإعجازه - وإليك بعض النماذج -

الأمثلة التطبيقية:

- ١ كل ما في كتاب الله من ذكر الأسف فمعناه الحزن كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام في آية ٨٤ من سورة يوسف: ﴿يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ﴾
إلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْفَوْنَا﴾ فان معناه أغضبونا -
- ٢ وكل ما في القرآن من ذكر البروج فإنها الكواكب كقوله تعالى في آية ١ من سورة البروج: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾
الاف في سورة النساء في آية ٧٨: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾
فإنها القصور الطوال ، المرتفعه في السماء ، الحصينة -
- ٣ وما في القرآن من ذكر "البرّ والبحر" فإنه يراد بالبحر الماء وبالبر التراب اليابس غير واحد في آية ٤١ من سورة الروم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
فانه بمعنى البريّة والعمران -
- ٤ والبخس في القرآن النقص مثل قوله تعالى في آية ١٣ من سورة الجن: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾
الا حرفاً واحد في سورة يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾
فإن أهل التفسير قالوا "بخس حرام"
- ٥ وما كان في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالايمان كقوله تعالى في آية من سورة بقره: ﴿صُمُّ بُكْمٌ﴾

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (331)

انما اراد "بكم" عن النطق والتوحيد مع صحة ألسنتهم الا حرفين - احدهما في آية ٩٧ من سورة بنى اسرائيل: ﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾

والثاني في آية ٧٦ من سورة النحل قوله عز وجل: ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكُمُ﴾
فإنها في هذين الموضعين اللذان لا يقدران على الكلام -

٦ وكل شهيد في القرآن غير القتلى في الغزو - فهم الذين يشهدون على امور الناس الا
التي في آية ٢٣ من سورة البقرة قوله عز وجل: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾
فإنه يريد شركاءكم -

٧ وكل صلوة في القرآن فهي عبادة ورحمة الا قوله تعالى في آية ٤٠ من
سورة الحج: ﴿وَصَلَّاتٍ وَمَسَاجِدَ﴾
فإنه يريد بيوت عباداتهم -

٨ وكل كنز في القرآن فهو المال، الا الذي في آية ٨٢ من سورة الكهف:
﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾
فإنه اراد صحفاً وعلماً -

٩ وكل صوم في القرآن فهو الصيام المعروف الا الذي في آية ٢٦ من سورة مريم:
﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ يعني صمتاً -

١٠ الانفاق حيث وقع في القرآن فهو الصدقة إلى قوله تعالى في آية ١١ من سورة
المتحنة: ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾

فإن المراد به المهر وهو صدقة في الاصل، تصدق الله بها على النساء - (١٧)

تعرض النبي ﷺ والصحابه والتابعون بشئى من هذا النوع:

ذكر الامام السيوطى رحمه الله آثاراً مسنداً من عدة كتب الحديث فيه ذكر امثال
بشئى من هذا النوع -

١ فاخرج الامام احمد فى مسنده وابن ابى حاتم وغيرهما عن ابى سعيد الخدرى عن
رسول الله ﷺ قال ((كل حرف فى القرآن يذكر فيه القنوط فهو الطاعة)) -

٢ قال الفريابى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "كل تسبيح فى القرآن صلاة وكل
سلطان فى القرآن حجة" -

٣ وأخرج ابن الانبارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال "كل ريب شك إلا مكاناً

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (332)

واحد في الطور ﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾ (١٨) يعني حوادث الامور.

٤ وأخرج ابن ابى حاتم وغيره عن ابى بن كعب قال "كل شئى فى القرآن من الرياح فهى رحمة وكل شئى فيه من الريح فهو عذاب".

٥ وأخرج عن سعيد بن جببر رضي الله عنه قال "العفو فى القرآن على ثلاثة أنحاء- نحو تجاوز عن الذنب ونحو فى القصد فى النفقة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (١٩) ونحو فى الاحسان فيما بين الناس ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يُعْفَوْا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ (٢٠).

٦ وقال الراغب فى مفرداته قيل كل شئى ذكره الله بقوله ﴿وما أدراك﴾ فسرّه ، وكل شئى ذكره بقوله ﴿وما يدريك﴾ تركه- وفى ذلك نكتة لطيفة- (٢١)

٢- تداخل الاصول اللغوية وأثره في بناء المعجم

تعريف التداخل:

يقول عبد الرزاق الصاعدى: التداخل فى الاصول عبارة عن إلتباس أصل- وهو موضوع نبه إليه ابن جنى فى الخصائص- عقد له مبحثاً خاصاً قرر فيه أن غالب اللغة لا تداخل فى أصولها-

أما التداخل فهو عبارة عن خلط الاصول بعضها ببعض وكأنها أصل واحد- أما احتمالات اللفظ لاكثر من اصل فليس من التداخل- (٢٢)

الفرق بين أصل الصرفى وأصل المعجمى:

يبين تحديد الاصل عند الصرفى وتحديد عند المعجمى- فرق ذلك أن الصرفى يضع فى حسابه المعنى فى حين يفتقر المعجمى على صورة اللفظية إذا الامر راجع إلى اعتبار الاشتقاق والمعتد به عند الصرفى وهو ما يسمى الاشتقاق الصغير- (٢٣)

ومن المعلوم ومن الثابت عند علماء اللغة أن لكل كلمة وما تفرغ عنها أصلاً واحداً فحسب بيد أن ثمة أصولاً يصعب حصرها-

التداخل: وأعنى بذلك أن الكلمة الواحدة قد يتوارد عليها أصلان أو اكثر فما يؤدى الى التداخل مع أصلها الحقيقى فيلتبس الاصلان أو اصول-

الأمثلة التطبيقية:

١ فكلمة "المدينة" يتوارد عليها أصلان ثلاثيان- فيتداخلان وهما

"م،د،ن" و "د،ى،ن"

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (333)

٢ ويتداخل في كلمة "المرمان" أصلاً - وهما:

"رم،م" و "رم،ن"

وأما كلمة القرآن فإنها تحتمل ثلاثة أصول:

"ق،ر،أ" و "ق،ر،ى" و "ق،ر،ن"

٣ المثال التطبيقي للتداخل:

تغير معنى الكلمة بسبب التداخل - وما ترتب عليه من عدم إدراك السامع مراد المتكلم -

ما جاء في الحديث المرفوع: "أن قوماً من جهنية جاؤوا إلى النبي ﷺ بأسير وهو

يرعد من البرد - فقال أدفوه فذهب به فقتلوه فوداه النبي ﷺ - وإنما أراد أدفوه من البرد وهو من

"د،ف،أ" - فالتبيين فإصل آخر من "د،ف،و" - ومنه قوله دفوت الجريح ادفوه دفوا إذا أجهزت

عليه - (٢٤)

معرفة التداخل:

ويقول الامام السيوطي تحت هذا عنوان "معرفة تداخل اللغات":

قال ابن جنى فى الخصائص اذا اجتمع فى الكلام الفصيح لغتان فصاعدا كقوله:

وأشرب الماء ما بى نحوه عطش
الا لا عيونى سال واديهما

فقال نحوه بالاشباع وعيونى بالاسكان فينبغى أن يتأمل حال كلامه فان كانت

اللفظتان فى كلامه متساويتين فى الاستعمال كترتهما واحدة فأخلق الامر به أن تكون قبيلته

تواضعت فى ذلك المعنى على ذينك اللفظين لا العرب قد تفعل ذلك للحاجة اليه فى أوزان

أشعارها وسعة تصرف أقوالها ويجوز أن تكون لغته فى الاصل احدهما ثم إنه استفاد الاخرى

من قبيلة أخرى وطال بها عهده وكثر استعماله لها فلحقت لطول المدة واتساع الاستعمال

بلغته الاولى وان كانت احدى اللفظتين أكثر كلامه من الاخرى فأخلق الامر به أن تكون القليلة

الاستعمال هى الطارئة عليه والكثيرة هى الاولى الاصلية ويجوز أن تكونا مخالفتين له ولقبيلته

وانما قلت احدهما فى استعماله لضعفها فى نفسه وشذوذها عن قياسه - وإذا كثر على المعنى

الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة انسان فعلى ما ذكرناه كما جاء عنهم فى أسماء الاسد

والسيف والخمر وغير ذلك وكما تنحرف الصيغة واللفظ واحد كقولهم رغبة اللبن ورغوته

ورغوته ورغاوته - كذلك مثلثا وكقولهم جئت من عل ومن عل ومن علا ومن علو ومن علو

ومن علو ومن عال ومن معال فكل ذلك لغات لجماعات وقد تجتمع لأنسان واحد -

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (334)

قال الاصمعي: اختلف رجلان في الصقر - فقال أحدهما بالصاد وقال الآخر بالسين - فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه فقال لا أقول كما قلتما انما هو الزقر وعلى هذا يتخرج جميع ما ورد من التداخل نحو قلا يقلى وسلى يسلى وطهر فهو طاهر وشعر فهو شاعر - فكل ذلك انما هو لغات تداخلت فتركت بأن أخذ الماضي من لغة والمضارع أو الوصف من أخرى لا تنطق بالماضى - كذلك فحصل التداخل والجمع بين اللغتين - فإن من يقول قلى يقول في المضارع يقلى يسلو ومن يقول فيه يسلى يقول في الماضي سلى فتلاقي اصحاب اللغتين ، فسمع هذا لغة هذا وهذا لغة هذا - فأخذ كل واحد من صاحبه ماضيه الى لغته فتركت هناك لغة ثالثة وكذا شاعر وطاهر إنما هو الشعر وطهر بالفتح وأما بالضم فوصفه على فاعيل فالجمع بينهما بالتداخل - انتهى كلام ابن جنى -

وقال ابن دريد في الجمهرة: البكا يمدو يقصر فمن مده أخرجه مخرج الضعاء والرغاء، ومن قصره أخرجه مخرج الآفة وما أشبهها مثل الضنى ونحوه وقال قوم من أهل اللغة بل هما لغتان صحيحتان وأنشدوا بيت حسان:

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يغنى البكاء ولا العويل

وكان بعض من يوثق به يدفع هذا ويقول لا يجمع عربي لفظين - أحدهما ليس من لغته في بيت واحد وقد جاء هذا في الشعر الفصيح كثيرا - انتهى -

وقال ثعلب في أماليه:

يقال فضل يفضل وفضل يفضل وربما قالوا فضل بفضل -

قال الفراء وغيره من أهل العربية فعل يفعل لا يجئ في الكلام الا في هذين الحرفين مت تموت في المبعثل ودمت تدوم وفي السالم فضل يفضل أخذوا من لغة من قال يفضل وأخذوا يموت من لغة من قال يفضل ولا ينكران يؤخذ بعض اللغات من بعض -

وقال ابن درستويه في شرح الفصيح يقال حسب يحسب نظير علم يعلم لانه من بابه وهو ضده فخرج على مثاله وأما يحسب بالكسر في المستقبل فلغة مثل ورم يرم وولى يلي -

وقال بعضهم يقال حسب يحسب على مثال ضرب يضرب مخالفة للغة الاخرى -

فمن كسر الماضي والمستقبل فانما أخذ الماضي من تلك اللغة والمستقبل من هذه فانكسر الماضي والمستقبل لذلك - وقال في موضع آخر شملهم الامر يشملهم لغات - فمن العرب قوم يقولون شمل بفتح الميم من الماضي وضمها من المستقبل -

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (335)

ومنهم من يقول شمل بالكسر يشمل بالفتح-

ومنهم من يأخذ الماضي من هذا الباب والمستقبل من الاول - فيقول شمل بالكسر

يشمل بالضم وليس ذلك بقياس واللغتان الاوليان أجود- (٢٥)

المفاهيم التي خارجة عن نطاق اللغة

١ اختلاف الاضداد لا تحيطه اللغة:

تعريف الاضداد:

قال ابو حاتم زعم قوم أن بعض العرب يجعل الضد مثل الندّ ويقول هو يضادني في ذلك المعنى ولا أعرف أنا ذلك-

فأما المعروف في الضد في كلام العرب فخلافاً للشئ كما يقال الإيمان ضد الكفر والعقل ضد الحمق- وفي القرآن ويكونون عليهم ضداً أي أضداداً- (٢٦)

منهج العلماء في كتب الاضداد:

وسطر أبو حاتم في مقدمه كتاب الدافع الأول لمحاولات العلماء دراسة الأضداد في اللغة - فقال: بسم الله الرحمن الرحيم - كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد حملنا على تأليفه أنا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً فأوضحنا ما حضر منه إذ كان يجيء في القرآن الظن يقناً وشكاً- والرجاء خوفاً وطعماً وهو مشهور في كلام العرب - وضد الشئ خلافه وغيره- فأردنا أن لا يكون يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال:

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ (٢٧)

يمدح الشاكين في لقاء ربهم وإنما المعنى يستيقنون- وكذلك في صفة من أوتى

كتابه يمينه من أهل الجنة: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ ۝ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ﴾ (٢٨)

ولو كان شاكاً لم يكن مؤمناً- (٢٩)

ومقدمة ابن الانباري لكتاب الأضداد فيها نفس المعنى السابق وهو "خدمة تفسير القرآن ومحاولة الدفاع عن ما وجه إلى لغته وأسلوبه من التناقض والإحالة"- وي زيد ابن الأنباري في توضيحه فيقول "هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزيف الإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم- وقال الله عز وجل وهو أصدق

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (336)

القائلين: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ (٣٠)

أراد الذين يتيقنون ذلك- فلم يذهب وهم عاقل إلى الله عز وجل يمدح قوماً بالشك في لقائه- وقال في موضع آخر حاكياً عن فرعون في خطابه موسى:

﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (٣١)

وقال تعالى حاكياً عن يونس عليه السلام:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ (٣٢)

من هاتين المقدمتين نتبين بوضوح مدى أثر الحرص على ألفاظ القرآن وفهمها فهماً صحيحاً يتمشى مع العقيدة ومحاولة دفع كل ما يوجه العربية والقرآن من طعن وتعارض في بحث دراسات الأضداد ومدلول اللفظ-

ويقول محمد زغلول سلام: "والنرم اللغويون في بحوث المدلول مناهج مختلفة، ظهرت فيها محاولاتهم تتضمن كتباً بأسماء عدة ولكنها وأن اختلفت في التسمية فغير مختلفة في الهدف العام وهو المدلول- وأهم تلك البحوث وأخطرها والصقها بالدراسات القرآنية وأثرها في اللغة بحوث الأضداد-

وتناولها اللغويون على اختلاف طبقاتهم بهذا الاسم فأفردوا لها كتب الأضداد كما فعل الأصمعي وأبو حاتم وابن السكيت وابن الانباري-

هدف البحث- محاولة الرد على الطاعنين:

وقد يكون البحث في المدلول جزءاً من البحث العام في لغة القرآن وبيانه- ويكون البحث فيه مرتبطاً بها- فأبو عبيدة مثلاً يطرق الموضوع أكثر من مرة في "مجاز القرآن" ويتعرض للأضداد- والفراء كذلك وإن اختلف في الرأي مع أبي عبيدة- وابن قتيبة يناقش المسألة في المشكل فيفرد باباً للمقلوب ويتعرض لها أكثر من مرة في مناسبات أخرى مثل ما فعل في باب "مخالفة ظاهر الكلام معناه" وفي باب "المشكل الذي ادعى على القرآن به" وباب "اللفظ الواحد للمعاني المختلفة"-

ولكن تبرز غير هذه المحاولات جميعاً مجموعة كتب الأضداد في سلسلة يأخذ بعضها برقاب بعض- وقد تصدت لبحث مدلول اللفظ- واجتهد مؤلفوها في بحث معنى اللفظ المفرد وصلته بالسياق، ومدى اختلاف معناه باختلاف تركيبه في الجملة، ثم مدى تبعيته للعبارة- وكان حافز العلماء في الاجتهاد والبحث القرآن- ذلك لأن المفسرين والعلماء

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (337)

الذين شغلوا بدراسة أسلوبه قد اعترضتهم بعض العقبات حين اصطدموا بألفاظ قد يفهم تكرارها في مناسبات مختلفة في القرآن أنها متضادة أو مختلفة في معانيها. وذلك بالقياس إلى الشاهد الشعري مما دعى بعض الطاعنين والشكاك إلى القول بالتناقض في أسلوب القرآن. ويغلب أن الخطأ ناتج عندهم من القياس على الشاهد الشعري ولم يراعوا ما في الشاهد من الاحتمالات مختلفة كاحتمال الخطأ والتصحيح أو المناسبة وتغيرها من شاهد إلى شاهد والسياق. ثم اللهجة أو اللغة في قبائل العرب. وهذه مما تصدى له العلماء في بحوث الأضداد وفصلوا القول.

وقد ذهب أولئك يدفعون اتهامات الطاعنين ويقوضون من مزاعمهم. وبدأوا فعرضوا المشكل والأضداد في اللغة على بساط البحث عرضاً لغوياً مناقشين مفندي في سلسلة كتب متتابعة. (٣٣)

أثر القرآن في كتاب أبي حاتم:

وأثر القرآن في كتاب أبي حاتم واضح فهو يورد اللفظ وينص على استعماله في القرآن فيقول في القرآن كذا وكذا وكذا. ثم يأتي بالمعنى المختلف أو المتضاد إذا كان اللفظ مستعملاً في الضد ولا تحريره ولا تخريج فيما يراه. وينتهي من ذلك إلى شبيه الكلمة أو مثلها إذا كان لها شبيه أو مثل.

فعند ما يتكلم عن "ظن" ومعنيها المتضادين يأتي بالكلمة القريبة في الاشتقاق فيتكلم عن "ضنين، وظنين" فيقول ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ و"بظنين فهما وجهان معروفان. فالضنين البخيل والظنين المتهم وهو من الظنة أى التهمة.

قال الراجز (الرجز): إن الحماة أو نعت بالكنة وأبت الكنة إلا ظنه

وبئر ظنون لا يوثق بمائها. (٣٤)

ويتعرض بالنقد لأقوال السابقين من العلماء ومن تعرض منهم للأضداد قولاً أو تأليفاً. يأخذ على أبي عبيدة قوله في كلمة خاف، كان أبو عبيدة يقول: خاف من الخوف ومن اليقين، وكان يقول ﴿فإن خفتهم ألا تعدلوا﴾ يريد أيقنتهم، ولا علم لى بهذا لأنه قرآن. وإنما نحكيه عن رب العالمين ولا ندرى لعله ليس كما يظن. ويكذبه ولا يأخذ بكلامه. (٣٥)

فيقول في كلمة أسر وقال أبو عبيدة: أسررت الشيء أخفيتها أو أظهرته أيضاً، وكان يقول في هذه الآية ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أظهرها. ولا أعتد بقوله في هذا والله

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (338)

أعلم. وقد استشهدوا على كلمة أسر بمعنى أخفى بقول الفرزدق:

فلما رأ الحجاج جرّد سيفه أسرّ الحروئى الذى كان أضمر (٣٦)

ولا يرضى أبو حاتم بهذا الاستشهاد على آيات القرآن ولا يطمئن إليه والفرزدق كثير التخليط فى شعره فلا أثق به فى القرآن.

كان أبو حاتم يحدد معنى كلمة ضد وتقلباتها المختلفة، وكان يحتاط فى جانب القرآن فيقول فإنما نحكيه عن رب العالمين. فلم يكتف بما جمع من الألفاظ ولكنه تعمق النظر، والتأمل فيما جاء فى القرآن من الألفاظ التى يختلف مدلولها وينقلب أحياناً. وحاول أن ينتقل من مرحلة النظرة الفردية لكل لفظ على حدة إلى التعميم، وملاحظة معان، وصفات مشتركة لمجموعة من الألفاظ. وانتهى إلى آراء طريفة تحاول أن تعلل تلك الظاهرة اللغوية التى شغلت العلماء ومهدت لمن جاء بعده.

وأول ما يسترعى الانتباه فى كتابه وكتب الأضداد بصفة عامة أنها لا تبحث الألفاظ التى متضادة فى معانيها أحياناً وحسب، بل تبحث فوق ذلك الألفاظ التى تختلف معانيها باختلاف المناسبة والسياق وهو "المقلوب لفظه فى كلام العرب المزال عن جهته والأضداد. وغلب اسم الأضداد على هذه الكتب وهى فى حقيقتها بحوث فى مدلول اللفظ وتغيره من وقت الآخر تحت ظروف معينة وعوامل مختلفة.

ويظهر أن أبا حاتم كان ذا رأى فى الأضداد فى القرآن يختلف عن آراء سابقيه، منتفعاً بتخرج أستاذه الأصمعى وتدقيقه فى كل ما يتصل بالقرآن ولغاته وتفسيره ويتلخص هذا الرأى فى:

١ أنه لا يرى التوسع فى نظرية الأضداد فى اللغة وخاصة فى لفظ القرآن، ولا يرى التسليم بما قال المفسرون واللغويون من قبل بل ينقد آراءهم ويفندها مخطئاً كثيراً منها.

٢ الاقتصار فى ألفاظ الأضداد على ما جاء منها مما لا يحتمل الشك ويؤيد السياق والشواهد الصحيحة.

٣ إرجاع باقى ما جاء منها إلى أصولها من تصحيف، وتغاير فى اللهجات أو مجرد أخطاء وقع فيها الشعراء نتيجة الاختلاط بالمولدين أو أخطاء فى الشعر نفسه نتيجة تداول السنة الرواة له.

ويهمنا أن نرجع إلى أصل هذا الرأى القول بعدم التوسع فى الأضداد فى القرآن خاصة وهو واضح فى كتابه. ذلك أن المتوسع فيها لا يسلم من العثرات، ولا ينبغى لمفسر

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (339)

القرآن التمدادى وراءها - يقول "وكل شيء من هذا الباب فى القرآن فتفسيره يتقى ، وما لم يكن فى القرآن فهو أيسر خطباً" (٣٧)

٤ إرجاع بعض ما جاء فى الأضداد إلى حالات خاصة ملابسة للفظ، كالتفاؤل أو التشاؤم قال فى الناهل "الناهل العطشان ، والناهل الريان- قال الأصمعى : الناهل الشارب يقال أنهلته سقيته الشربة الأولى ، وعللته سقيته مرتين أو أكثر- وإنما قيل للعطشان ناهل على التفاؤل كما يقال للمهلكة مفازة على التفاؤل- ويقال للعطشان ريان- وللملدوغ سليم أى سيسلم ونحو ذلك لأن معنى فاز نجا- فالمفازة المنجاة، كما قال الله تعالى ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ (٣٩) أى بمنجاة إن شاء الله-

٥ الاكتفاء فى بعضها بذكر ما جاء فى تفسير العلماء مع الوقوف بين الآراء المتعارضة موقفاً وسطاً يقول: "قال بعضهم فى المسحور الفارغ، بلغنى ذلك ولا أدري ما الصواب؟ ، ولا أقول فى ﴿فى البحر المسحور﴾ شيئاً ولا ﴿وإذا البحار سجرت﴾ لأنه قرآن فأنا أثق به- وقالت جارية بالحجاز: إن حوضكم لمسحور- ولم تكن فيه قطرة- قال أبو حاتم: يمكن أن يكون هذا على التفاؤل كما يقال للعطشان ريان وللملدوغ سليم وقال ذو الرمة فى المسحور وهو بمعنى المملوء- (٤٠)

الإمام ابن الأنبارى وكتابه الأضداد:

وجاء ابن الأنبارى فألف كتابه الجديد ولندعه يرسم لنا منهجه فى مقدمة الكتاب- فيقول: هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة فيكون الحرف منها مؤدباً عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيف الأزراء بالعرب أن ذلك كان منهم نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم-

فاجاب عن الظن الذى ظنوه بضروب من الاجوبة- لا يسعه هذا المقام للتفصيل- فكلامه هنا يثبت أنه يأخذ كلام القدماء فى الأضداد لاجمعاً كما فعل بعضهم أونقلاً بل دراساً و معللاً، ثم أشار إلى مسألة هامة وهى إستقصاء الشواهد وتصنيفها- وأشار إلى أهمية الأضداد فى الكلام عند ما قسم اللفظ من حيث المدلول إلى أقسام ثلاثة-

١ ألفاظ لا تعنى إذا وردت فى الكلام إلا معنى واحداً لا يتغير بتغير السياق، كالرجل والمرأة ، والجمل والناقة ، واليوم والليلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت، وهذا هو الكثير الذى لا يحاط به-

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (340)

٢ ألفاظ لا يفهم معناها إلا بالسياق، ولا يمكن أن تختلط في المدلول، مثل لفظ حمل بمعنى ولد الضأن، وحمل بمعنى اسم رجل.

٣ ألفاظ يقع اللفظان منها أو أكثر على المعنى الواحد كقولك البر والحنطة والغير والحمار والذئب والسيد وجلس وقعد.

٤ ألفاظ يختلف معناها باختلاف السياق، وهذا القسم يضم الاضداد، وهو القسم الهام في هذا البحث لانه القليل الطريف من كلام العرب. (٤٠)

فرأيت من البحث السابق الاقوال المختلفة في تعيين معنى الكلمة. فابن الانباري يرفض رأى ابي حاتم في الاية التي يقول بان الرجاء هنا بمعنى الخوف.

وهكذا لا يقبل قول العلماء الذين قالوا أن الرجاء معناه "الأمل" ويرى أن الاية التي إحتجوا بها لا حجة لهم فيها.

والصحيح عنده أن الرجاء لا يخرج أبداً عن معنى الشك هكذا اختلاف اللهجات بين القبائل قد يؤدي إلى الاختلاف في مدلول اللفظ.

فالجون الابيض في لغة حي من العرب، والجون الاسود في لغة حي آخر.

والسدفة حرف من الاضداد فبنو تميم يذهبون إلى انها الظلمة وقيس يذهبون إلى انها الضوء.

وهذه الاختلافات في دلالة الكلمات في اللغة العربية مجال بحث وجدل في القديم والحديث. فكيف يكون اللغة قاضياً حاكماً في تفسير كتاب الله العزيز.

نطاق اللغة في الترادف

الترادف:

الترادف في اللغة: قال ابن فارس: الرّاء والدّال والفاء أصل واحد مطرد يدل على اتباع

الشئ، فالترادف: التتابع. والردفان الليل والنهار. (٤١)

الترادف اصطلاحاً:

هو الالفاظ المفردة الدّالة على شئ واحد باعتبار واحد. (٤٢)

قضية الفروق والترادف بين العلماء:

وقضية الفروق والترادف وإن بدت للوهلة الأولى. انها قضية لغوية الا انها رغم

شديد اتصالها باللغة العربية وفقهها. عظيمة الاثر في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه وخاصة

إذا مالا حظنا قول ابن تيميه رحمه الله أن الترادف في القرآن الكريم إما معدوم وإما نادر.

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (341)

وانقسم الناس فيها فريقين- فريق يقول بوجود الترادف في العربية وأنه لا معنى لاقامة البرهان على جوازه بعد تحقق وقوعه، كالبر والقمح والعقود والجلوس- وهو لاء يعتبرون الترادف ميزه كبرى للعربية ودليلاً على ثرائها وسعتها وكثرة ألفاظها-

وفريق آخر من اللغويين يقول بعدم وقوع الترادف لان وجوه من الفضول والتزيد الذى لا فائدة فيه ولا طائل تحته- (٤٣)

القائلون بالترادف من علماء اللغة العربية ابن خولوية، الاصمعي و سيبويه، وابن جنى والفيروز آبادي- ومن الفريق الآخر يأتي في مقدمتهم ابو هلال العسكري وأحمد بن فارس ثعلب، وابن الاعرابي وابن درستويه-

رأى الإمام الزركشى فى ذلك:

يرى الزركشى فى كتابه ”البرهان فى علوم القرآن“ أن من بواعث معرفة الاعجاز اختلاف المقامات وان يذكر فى كل موضع ما يلائمه ويليق به من الالفاظ وان كانت مترادفة بحيث يودى إبدال حرفٍ باخر إلى ذهاب ما على الكلام من طلاوة وما فيه من حلاوة كما هو يقول تحت عنوان ”فى الفاظ يظن بها الترادف وليست منه“- ولهذا وزّعت بحسب المقامات فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر، فعلى المفسر مراعاة الاستعمال، والقطع بعدم الترادف ما أمكن- فإن للتركيب معنى غير معنى الافراد- ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع احد المترادفين موقع الآخر فى التراكيب وإن اتفقوا على جوازه فى الافراد - (٤٤)

وقد اورد الزركشى فى البرهان عدداً من الالفاظ يظن بها الترادف وليست منه ولهذا وزّعت فى القرآن الكريم بحيث لا يقوم بعضها مقام الاخر بل الاسزادة على ذلك- يقول فى مقام ”لا يكاد اللغوى يفرق بينهما“ وفى مقام آخر ”لا يفرق الاديب بينهما والله تعالى فرق بينهما“-

وهذه الالفاظ هى الخوف والخشية، والشح والبخل، الغبطة والمنافسة، الحسد والحقد، السبيل والطريق، جاء وأتى، الخطف والتخطف، مدّ وأمد، عمل وفعل، القعود والجلوس، الاعطاء والايطاء- (٤٥)

الامثلة التطبيقية:

١ فمن ذلك ”الخوف“ و”الخشية“ لا يكاد اللغوى يفرق بينهما ولا شك ان الخشية أعلى من الخوف وهى أشد الخوف - فإنها مأخوذة من قولهم ”شجرة خشية“ إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية- والخوف من قولهم ”ناقة خوفاً“ إذا كان بها داءٌ وذلك نقص وليس

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (342)

بفوات - ومن ثمة خصت الخشية بالله تعالى في قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٤٦)

وفرق بينهما ايضاً بان الخشية تكون من عظم المخشى وان كان الخاشي قوياً، والكوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً ويدل على ذلك أن الخاء، والشين، والياء في تقاليبها تدل على العظمة - قالوا شيخ للسيد الكبير، والخيش لما عظم من الكتان والخاء والواو، والفاء في تقاليبها تدل على الضعف -

وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة - وقال تعالى:

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٤٧)

فإن الخوف من لعظمته، يخشاه كل احد كيف كانت حاله، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالماً بالحساب، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب -

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٤٨)

وقال لموسى ﴿لَا تَخَفْ﴾ (٤٩) أى لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف من فرعون -

فإن قيل: ورد ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾؟

قيل: الخاشي من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيف، فيصح أن يقول: "يخشى ربه" لعظمته، ويخاف ربه أى لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى -

وفيه لطيفة وهى أن الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء، ذكر صفتهم بين يديه، فقال تعالى:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٥٠)

فبين أنهم عند الله ضعفاء - ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء، لا حاجة إلى بيان ضعفهم، ذكر ما يدل على عظمة الله تعالى فقال فى آية ٢١ من سورة الرعد: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ولما ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال ﴿رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ والمراد فوقية بالعظمة -

٢ ومن ذلك: الشح والبخل -

والشخ: هو البخل الشديد - وفرق العسكرى بين البخل والظن بأن الظن: أصله أن يكون بالعوارى - والبخل: بالهيئات، ولهذا يقال هو ظنين بعلمه، ولا يقال هو بخيل - لأن العلم أشبه بالعارية منه بالهيئة، لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه، بخلاف العارية، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٥١)

ولم يقل ببخيل-

٣ ومن ذلك "السييل" و "الطريق" - وقد كثر استعمال السبيل في القرآن حتى إنه وقع في الربع الأول منه في بضع و خمسين موضعاً-

أولها قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٥٢)

ولم يقع ذكر الطريق مراداً به الخير، إلا مقترناً بوصف أو بإضافة، مما يخلصه لذلك كقوله تعالى: ﴿إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٣)

٤ ومن ذلك "جاء" و "أتى" يستويان في الماضي - و "يأتي" أخ من "يجيء" وكذا في الامر و "جيئوا بمثله" أثقل من "فأتوا بمثله" ولم يذكر الله إلا "يأتي" و "يأتون" وفي الأمر "فأت، فأتنا، فأتوا، لأن إسكان الهمزة ثقيل لتحريك حروف المد واللين، تقول "جيء" أثقل من "أت" -

وأما في الماضي ففيه لطيفة، وهي أن "جاء" يقال في الجواهر والأعيان، و "أتى" في المعاني والأزمان - وفي مقابلتها: ذهب و مضى، يقال ذهب في الأعيان، ومضى في الأزمان - ولهذا يقال: حكم فلان ماض ولا يقال: ذاهب - لأن الحكم ليس من الأعيان -

وقال في آية ١٧ من سورة بقرة ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل "مضى" لأنه يضرب له المثل بالمعاني المفتقرة إلى الحال - ويضرب له المثل بالأعيان القائمة بأنفسها - فذكر الله "جاء" في موضع الأعيان في الماضي و "أتى" في موضع المعاني والأزمان -

٥ ومن ذلك "الخطف" و "التخطف" - لا يفرق الأديب بينهما - والله تعالى فرق بينهما، فتقول "خطف" بالكسر، لما تكرر، ويكون من شأن الخاطف الخطف، و "خَطَفَ" بالفتح حيث يقع الخطف من غير من يكون من شأنه الخطف بكلفة وهو أبعد من "خَطَفَ" بالفتح - فإنه يكون لمن اتفق له على تكلف ولم يكن متوقعاً منه -

ويدل عليه أن "فعل" بالكسر لا يتكرر، كعلم وسمع، و "فعل" لا يشترط فيه، كقتل وضرب - قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ (٥٤)

فإن شغل الشيطان ذلك -

وقال في آية ٣١ من سورة الحج ﴿تَخَطَّفُ الطَّيْرُ﴾ لأن من شأنه ذلك -

وقال في آية ٣٦ من سورة الانفال ﴿تَخَافُونَ أَنَّ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾، فإن الناس لا تخطف الناس إلا على تكلف -

- وقال في آ ٢٧ من سورة العنكبوت ﴿وَيَخْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.
- وقال ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، لأن البرق يخاف منه خطف البصر إذا قوى.
- ٦ ومن ذلك "مد" و "أمد" - قال الراغب أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب.
- ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾ (٥٥) ﴿وَوَظِلَّ مَمْدُودٌ﴾ (٥٦)
- والمد في المكروه: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (٥٧)
- ومن ذلك و "أسقى" وقد سبق.
- ٧ ومن ذلك "عمل" و "فعل"، والفرق بينهما أن العمل أحص من الفعل - كل عمل فعل ولا ينعكس - ولهذا جعل النحاة الفعل في مقابلة الاسم، لأنه أعم - والعمل من الفعل ما كان مع امتداد، لأنه "فعل" وباب "فعل" لما تكرر.
- وقد اعتبره الله تعالى، فقال ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٥٨) حيث كان فعلهم بزمان.
- وقال ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٥٩) حيث يأتون بما يؤمرون في طرفة عين.
- فيقولون المدن فأسرع من أن القائم من مكانه.
- وقال تعالى ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيِدِينَا﴾ (٦٠) ﴿وَمَا عَمَلَتْهُ آيِدِيهِمْ﴾ (٦١)
- فإن خلق الأنعام، والثمار والزرع بامتداد.
- وقال ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (٦٢)
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦٣)
- ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ (٦٤) - فإنها إهلاكات وقعت من غير بطء.
- وقال ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٦٥) حيث كان المقصود المثابرة عليها، لا الإتيان بها مرة.
- وقال ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرِ﴾ (٦٦) بمعنى سارعوا.
- كما قال ﴿فَاسْتَنْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٦٧)
- وقال ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٦٨)، أي يأتون بها على سرعة من غير توان في دفع حاجة الفقير.

فهذا هو الفصاحة في اختيار الأحسن في كل موضع.

- ٨ ومن ذلك "العود" و "الجلوس" - إن القعود لا يكون معه لبثة - والجلوس لا يعتبر فيه ذلك - ولهذا تقول "قواعد البيت" ولا تقول "جوالسه" - لأن مقصودك ما فيه ثبات، والقاف، والعين، والبدال كيف تقلبت ذلت على اللبث - والقعدة بقاء على حالة، والدقعاء:

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (345)

للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لبث طويل. وأما الجيم، واللام، والسين فهي للحركة، منه: السجل للكتاب يطوى له ولا يثبت عنده. ولهذا قالوا في قعد: يقعد بضم الوسط، وقالوا: جلس يجلس بكسره، فاختاروا الثقيل لما هو أثبت.

إذا ثبت هذا فنقول:

قال الله تعالى ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (٦٩)، فإن الثبات هو المقصود.

وقال ﴿أَفْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٧٠)، أى لا زوال لكم ولا حركة عليكم بعد هذا.

وقال ﴿فِي مَقْعَدٍ صَدِّقٍ﴾ (٧١)، ولم يقل "مجلس"، إذ لا زوال عنه.

وقال ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ (٧٢)، إشاراً إلى أنه يجلس فيه زماناً

يسيراً ليس بمقعد. فإذا طُلب منكم التفصح فافسحوا، لأنه لا كلفة فيه لقصره. ولهذا لا يقال: قعيد الملوك، وإنما يقال: جلسهم. لأن مجالسة الملوك يستحب فيها التخفيف، والقعيدة للمرأة، لأنها تلبث في مكانها.

٩ ومن ذلك "التمام" و"اكمال"، وقد اجتمعا في قوله تعالى في آية ٣ من سورة

المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾

والعطف يقتضى المغيرة.

فقليل: الإتمام لإزالة نقصان الاصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام

الأصل، ولهذا كان قوله تعالى ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أحسن من "تامة". فإن التمام من لا عدد قد عُلم، وإنما بقي احتمال نقص فى صفاتها.

وقيل "تَمَّ" يشعر بحصول نقص قبله، و"كَمَلَ" لا يشعر بذلك، ومن هذا قولهم:

رجل كامل، إذا جمع خصال الخير، ورجل تام إذا كان غير ناقص الطول.

وقال العسكري: الكمال إسم لاجتماع أبعاد الموصوف به، والتمام إسم للجزء الذى يتم به

الموصوف. ولهذا يقولون: القافية تمام البيت، ولا يقولون كماله، ويقولون البيت بكمالهِ.

ومن ذلك الضياء والنور.

فائدة:

قال الجويني: لا يكاد اللغويون يفرقون بين الإعطاء والإتيان. وظهر لي بينهما فرق

انبنى عليه بلاغة في كتاب الله وهو أن الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، لأن الإعطاء

له مطاوع، يقال أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإتيان: أتاني فأتيت. وإنما يقال: أتاني

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (346)

فأخذت، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له - لأنك تقول: قطعته فانقطع - فيدل على أن فعل الفاعل كمان موقوفاً على قبول المحل، لولاه لما ثبت المفعول - ولهذا يصح: قطعته فما انقطع، ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك - فلا يجوز أن يقال: ضربته فانضرب أو ما انضرب - ولا قتلته فانقتل أو ما انقتل - لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل - والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها - فالإيتاء إذن أقوى من الإعطاء -

قال وقد تفكرت في مواضع من القرآن، فوجدت ذلك مراعى -

قال الله تعالى في الملك ﴿تَوْتَى الْمُلْكُ مَنْ تَشَاءُ﴾ (٧٣)، لأن الملك شي عظيم لا يعطيه إلا من له قوة - ولأن الملك أثبت من الملك في المالك - فإن الملك لا يخرج الملك من يده - وأما المالك فيخرجه بالبيع والهبة -

وقال تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ (٧٤) لأن الحكمة إذا ثبتت في المحل دامت -

وقال ﴿آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ (٧٥) لعظم القرآن وشأنه -

وقال ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (٧٦)، لأن النبي ﷺ وأمة يردون على الحوض ورود النازل على الماء، ويرتحلون إلى منازل العز والأنهار الجارية في الجنان - والحوض للنبي ﷺ وأمة عند عطش الأكباد قبل الوصول إلى المقام الكريم - فقال فيه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ لأنه يترك ذلك عن قرب، وينتقل إلى ما هو أعظم منه -

وقال ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ (٧٧)، لأن من الأشياء ما له وجود في زمان واحد بلفظ الإعطاء -

وقال ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٧٨) لأنه تعالى بعد ما يرضى النبي ﷺ يزيده، وينتقل به من كل الرضا إلى أعظم ما كان يرجو منه، لا بل حال أمته كذلك - فقوله ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٥] فيه بشارة -

وقال ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ (٧٩) لأنها موقوفة على قبول منا، وهم لا يؤتون إيتاء عن طيب قلب - وإنما هو عن كره، إشارة إلى أن المؤمن ينبغي أن يكون إعطاؤه للزكاة بقوة لا يكون كإعطاء الجزية - فانظر إلى هذه اللطيفة الموقوفة على سر من أسرار الكتاب - (٨٠)

معرفة الفروق اللغوية:

هناك طرق معينة ومسالك محددة ومناهج واضحة لتعرف بها ومن خلالها على

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (347)

الفروق اللغوية- وقد ذكر ابو هلال العسكري في كتابه "الفروق في اللغة"-
هذه المسالك التي بها يمكن معرفة الفروق بين معاني الالفاظ المتقاربة الدلالة والتي
يظهر لكثير أنها مترادفة-

وقد ذكر المسالك والطرق التي يسلكها علماء اللغة القائلون بالفروق ومن أهمها-
الفرق الذي يعرف من جهة أصل اللفظ في اللغة فكالفرق بين الحنين والاشتياق ،
وذلك ان أصل الحنين في اللغة هو صوت من أصوات الابل تحدثها إذا اشتاقت إلى اوطانها-
ثم كثر ذلك حتى أجرئ اسم كل واحد منهما على الآخر كما يجرى على السبب وعلى
المسبب اسم السبب- فإذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفرق
بين معنيهما ، فاعلم أنهما من لغتين- مثل القدر بالبصرية والبرمة بالمكيّة ومثل قولنا الله بالعربية
وآزر بالفارسية- (٨١)

٣ اسباب النزول خارجة عن حدود اللغة:

بيان اسباب النزول طريق قوى لفهم معاني كتاب الله العزيز وهو خارج عن حيز اللغة-

وقال الامام الزركشي وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ،
وليس كذلك بل له فوائد- منها وبه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم-
ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب-
ومنها الوقوف على المعنى-

قال الشيخ ابو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معاني الكتاب
العزيز ، وهو امر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا-

ومنها أنه قد يكون اللفظ عاماً ويقم الدليل على التخصيص - فإن محل السبب لا
يجوز إخراج به بالاجتهاد والاجماع-ومن الفوائد ايضاً دفع توهم الحصر- قال الشافعي ما
معناه في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ (٨٢)

إن الكفار لمّا حرّموا ما أحل الله ، واحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة
والمحاددة، جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكانه قال لا حلال إلا ما حرّمتموه ولا حرام إلا
ما أحللتهموه- (٨٣)

قال ابن تيميه رحمه الله: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم با
لسبب يورث العلم بالمسبب- (٨٤)

القلم... جون ٢٠١٢ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (348)

معرفة اسباب النزول يحصل بالاتباع والاستماع:

قال الواحدى: لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع. فمن شاهد والتنزيل او وقفوا على الاسباب وبحثوا عن علمها وقد قال محمد بن سيرين سألت عبدية عن آية من القرآن ، فقال: إتق الله وقل سداً ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن. (٨٥)

قال الحاكم فى علوم الحديث:

إذا أخبر الصحابى الذى شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن انها نزلت فى كذا، فانه حديث مسند ومثب على ذلك ابن صلاح وغيره. ومثله بما أخرجه مسلم عن جابر قال كانت اليهود تقول من أتى امرأة من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول ، فأنزل الله ﴿نساء كم حرث لكم﴾ (٨٦)

وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة لقرائن تختلف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم. فقال أحسب هذه الآية نزلت فى كذا كما أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الانصار فى شراج الحرة. فقال النبي ﷺ ((إسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك)) فقال الانصارى يا رسول الله ان كان ابن عمك. فتلون وجهه. الحديث قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك. ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ (٨٧)

مقاصد نزول القرآن الكريم:

إن فهم مقاصد نزول القرآن الاصلية وادراك أهدافه الحقيقة بصفة خاصة ومعرفة مقاصد أحكام الشرع ومسائله بصفة عامة، شرط فهم من شروط المفسر والاخلال بهذا الشرط يؤدي إلى الوقوع فى الاخطاء التفسيرية.

ومما لا يختلف فيه اثنان ان الله تعالى أنزل جميع الآيات القرآنية و شرع كل الاحكام الشرعية لمقاصد جليلة وغايات عظيمة ومطالب نبيلة كلها مبنية على مصالح العباد فى دنياهم وأخراهم كما أنها متضمنة لأسباب السعادة فى المعاش والمعاد. قال الله تعالى ﴿يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (٨٨)

وقال شيخ الاسلام رحمه الله: ولا بد فى تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما

يدل على مراد الله ورسوله من الالفاظ وكيف يفهم كلامه. (٨٩)

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (349)

كم من إنحراف ظهر في التفسير وكم من خطأ حصل فيه بسبب عدم فهم مقاصد نزول القرآن الكريم، وفقد بصيرة وتأمل في أغراضه وعدم معرفة مدلول آياته والجمل بمواضع نصوصه؟ وما أكثر الفرق المبتدعة، قديماً وحديثاً الذين استدلوا بالآيات القرآنية وتمسكوا بالنصوص الشرعية استدلالاً باطلاً وتمسكاً فاسداً على إثبات باطلهم جاهلين مقاصد ها واهدافها وغافلين مفاهيمها الصحيحة ومدلولاتها البينة الواضحة.

الامثلة التطبيقية:

وقال الامام الزركشي:

١ ومن فوائد هذا العلم إزالة الاشكال ، ففي الصحيح عن مروان ابن الحكم أنه بعث إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله لئن كان كل امرئ فرح بما اوتي وأحب أن يحمد بما يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذه الآية نزلت في أهل الكتاب - (٩٠)

٢ من ذلك قوله تعالى ﴿ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ (٩١)

فحكى عن عثمان بن مظعون وعمر بن معديكرب رضي الله عنهما انهما كانا يقولان: الخمر مباحة ويحتجنان بهذه الآية وخفى عليهما سبب نزولها. فإنه يمنع من ذلك وهو ما قاله الحسن وغيره. لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم وقد أخبر الله إنها رجس - فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٣ ومن ذلك قوله تعالى ﴿واللائئ يئسن من المحيض من نساءكم إن ارتبتم﴾ (٩٢) قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة وقد بيّنه سبب النزول -

٤ ومن ذلك قوله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله﴾ (٩٣) فاننا لو تركنا مدلول اللفظ لا تقتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سقراً ولا حضراً، وهو خلاف الاجماع. فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها، وذلك أنها نزلت لما صلى النبي ﷺ على راحلته وهو مستقبل من مكة الى المدينة حيث توجهت به. فعلم أن هذا هو المراد.

٥ ومن ذلك قوله تعالى ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ (٩٤) فان سبب نزولها أن قوماً أرادوا الخروج للجهاد فمنعهم أزواجهم وأولادهم. فأُنزل

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (350)

الله تعالى هذه الآية-

ثم أنزل في بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذه ، فقال ﴿وإن تعفوا و تصفحوا
وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ (٩٥)

فظهرت من هذه الامثلة ان معرفة سبب نزول الآية تؤدي الى فهم مقاصد القرآن
واهدافها- ولا تستطيع اللغة ان تحيطها ولا اللغوى أن يحوزها-

وما أصدق كلام الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله في المفسرين الخوارج
السطحيين وما أنصف تحليله لتفاسيرهم البعيدة عن مقاصد القرآن-

إن الخوارج عند ما ينظرون إلى القرآن لا يتعمقون في التأويل ولا يغوصون وراء
المعاني الدقيقة، ولا يكلفون أنفسهم عنا البحث عن أهداف القرآن وأسراره بل يقفون عند
حرفيه ألفاظه وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية وربما كانت الآية لا تنطبق على ما يقصدون
إليه ولا تتصل بالموضوع الذي يستدلون بها عليه- لا منهم فهموا ظاهراً معطلاً وأخذوا
بعضهم غير مراد، ولقد يعجب الانسان ويدهش عند ما يقرأ ما للقوم من سخافات في فهمهم
لبعض نصوص القرآن أوقعهم فيها التنطع والتمسك بظواهر النصوص- (٩٦)

وقال شيخ الاسلام

قررّ الاثمة الاعلام من المفسرين والاصوليين أن من أهم فوائد معرفة أسباب النزول
أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح والغفلة عنها تؤدي إلى الخروج عن المقصود
بالآيات ، فاذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله وتعددت أقوالهم ، فادنى الاقوال
بتفسير الآية ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية- (٩٧)

المثال: قال الله تعالى :

﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ (٩٨)

اختلف المفسرون في تفسير ﴿البيوت﴾ من هذه الآية على اقوال:

أحدها: أن المراد بالبيوت هي المنازل المعروفة، والإتيان هو المجئي إليها
ودخولها- وهذا القول محمول على الحقيقة-

والثاني: أن المراد بالبيوت النساء أمرنا بإتيانهن من القبل لا من الدبر- وسمي
النساء بيوتاً للإيواء إليهن كالإيواء إلى البيوت- هذا التفسير مبني على المجاز-

والثالث: أنها مثل، المعنى: ليس البر أن تسألوا الجهّال ولكن اتقوا واسألوا

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (351)

العلماء- فهذا كما يقال: أتيت هذا الأمر من باب- فأمر الناس أن يأتوا الأمور من وجوها- وقيل غير ذلك-

وأولى بالصواب هو القول الأول وعليه جمهور المفسرين- وذلك لما صح في سبب نزول هذه الآية من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها- قال فجاء رجل من الأنصار فدخل من باب- فقل له في ذلك- فنزلت هذه الآية: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ (٩٩)

وقد رجح هذا القول بالقاعدة المذكورة جماعة من أئمة التفسير من ابن العربي ، وابن عطية ، والقرطبي ، وابو حيان وغيرهم- ولم يذكر الامام طبرى ، وابن كثير غير هذا القول مستندين إلى سبب النزول-

ذكر الامام ابو حيان الروايات المتعددة في سبب النزول ثم قال:

وملخص هذه الاسباب أن الله تعالى أنزل هذه الآية راداً على من جعل إتيان البيوت من ظهورها براً أمراً باتيان البيوت من أبوابها- وهذه أسباب تظافرت على أن البيوت أريد به الحقيقة وأن الاتيان هو المحنى إليها والحمل على الحقيقة أولى من إدعاء المجاز مع مخالفة ما تظافر من هذه الاسباب- (١٠٠)

الهوامش

- ١- سورة النجم: ٤، ٣
- ٢- ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم، امام، مجموع الفتاوى، الرياض: دار عالم الكتب ١٤١٢-١٩٩١، ص ٧- ٢٨٦
- ٣- ولى الله، احمد بن عبد الرحيم ، الدهلوى ، الفوز الكبير فى أصول التفسير، ط- الثانية، ١٤٠٧، ص ٢٤١
- ٤- ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم، امام، مجموع الفتاوى، ص ٩٥/١٥
- ٥- ابن القيم ، محمد بن ابى بكر ، دمشقى ، بدائع الفوائد ، الرياض: دار الجانى ، الطبعة الاولى، ١٤١٤-١٩٩٤ء، ص ٢٧/٣
- ٦- الاعراف: ٥٦، ٥٥ ٧- البقرة: ١٨٦ ٨- الاعراف: ٧٨
- ٩- ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى ، ١٥ / ١٠ - ١٢
- ١٠- زيات، احمد حسن، تاريخ الادب العربى ، مصر: ص ٨٦
- ١١- ال عمران: ٩٧ ١٢- البقرة: ١٥٨
- ١٣- ابن تيمية ، شيخ الاسلام ، مجموع الفتاوى ، ص ٧ / ٢٩٨
- ١٤- ابن جرير ، جامع البيان عن تاويل القرآن ، ص ١٦ / ٧١

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (352)

- ١٥- الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ص ١ / ١٣٤ ١٦- المصدر السابق، ص ١ / ١٤٠
- ١٧- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن ، ٢ / ١٣٤
- ١٨- الطور: ٣٠ ١٩- البقرة: ٢١٩
- ٢٠- البقرة: ٢٣٧ ٢١- المصدر السابق ، ص ١٣٦
- ٢٢- عبدالرزاق بن خراج الصاعدي ، تداخل الاصول اللغوية واثره في بناء المعجم، المدينة المنورة: ص ١٤
- ٢٣- المصدر السابق، ص ١١ ٢٤- المصدر السابق، ص ١ / ٢٧
- ٢٥- السيوطي ، جلال الدين ، المزهري في علم اللغة وانواعها، ص ١٥٥- ١٥٧
- ٢٦- ابو حاتم ، سهل بن محمد بن عثمان، السجستاني ، كتب الاضداد ، بيروت: دارالمشرق- ١٩١٢، ص ٧٥
- ٢٧- البقرة: ٤٥ ٢٨- الحاقة: ١٩ ٢٩- المصدر السابق، ص ٧٢
- ٣٠- البقرة: ٢٤٩ ٣١- بني اسرائيل : ١٠١ ٣٢- الانبياء: ٨٧
- ٣٣- محمد زغلول سلام ، اثر القرآن في تطور النقد العربي إلى اخر القرن الرابع الهجري، ص ١٤٤
- ٣٤- ابو حاتم ، كتب الاضداد ، ص ٧٨ ٣٥- المصدر السابق، ص ٨٨
- ٣٦- المصدر السابق، ص ١١٥ ٣٧- المصدر السابق، ص ٩٨
- ٣٨- ال عمران: ١٨٨ ٣٩- المصدر السابق، ص ١٢٧
- ٤٠- محمد زغلول سلام ، اثر القرآن في تطور النقد العربي إلى اخر القرن الرابع الهجري، ص ١٧٧
- ٤١- ابن فارس ، احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دارالفكر، مادة ردف ، ٢ / ٥٠٣
- ٤٢- السيوطي ، عبد الرحمن الكمال، التحرير في علم التفسير، لاهور: دارنشر الكتب الاسلاميه ١٤٠٢ ، ١ / ٤٠٢
- ٤٣- محمد بن عبد الرحمن بن الصالح ، الفروق اللغويه واثرها في تفسير القرآن رياض: مكتبه العبيكان ١٤١٤- ١٩٩٤، الطبعة الاولى ص ٢٠
- ٤٤- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، جلد ٤ ، ص ٩٣ ٤٥- المصدر السابق، ص ٩٤/٤
- ٤٦- الرعد: ٢١ ٤٧- الرعد: ٢١ ٤٨- الفاطر: ٢٨
- ٤٩- النمل : ١٠ ٥٠- النحل : ٥٠ ٥١- التكوين: ٢٤
- ٥٢- البقرة: ٨٩ ٥٣- الاحقاف: ٣٠ ٥٤- الصافات: ١٠
- ٥٥- الطور: ٢٢ ٥٦- الواقعة: ٣٠ ٥٧- مريم: ٧٩
- ٥٨- سبا: ١٣ ٥٩- النحل: ٥٠ ٦٠- يسين: ٧١
- ٦١- يسين: ٣٥ ٦٢- الفيل: ١ ٦٣- الفجر: ٦
- ٦٤- ابراهيم: ٤٥ ٦٥- البقرة: ٢٥ ٦٦- الحج: ٧٧
- ٦٧- البقرة: ١٤٨ ٦٨- المومنون: ٤ ٦٩- ال عمران: ١٢١

القلم... جون ٢٠١٣ء

تقصير اللغة عن تعيين المعاني القرآن الكريم (353)

- ٧٠- التوبة: ٤٦ ٧١- القمر: ٤٥ ٧٢- المجادلة: ١١
- ٧٣- آل عمران: ٢٦ ٧٤- البقرة: ٢٦٩ ٧٥- الحجر: ٨٧
- ٧٦- الكوثر: ١ ٧٧- طه: ٥٠ ٧٨- الضحى: ٥
- ٧٩- التوبة: ٢٩ ٨٠- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: ٩٢/٤..... ١٠٠
- ٨١- محمد بن عبد الرحمن، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ص ١٢٥
- ٨٢- الأنعام: ١٤٥ ٨٣- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١ / ٤٥
- ٨٤- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ١٠ / ٨٣
- ٨٥- المصدر السابق، ص ٨٩/١ ٨٦- البقرة: ٢٣٢، المصدر السابق، ص ٨٩/١
- ٨٧- النساء: ٦٥، المصدر السابق، ص ٨٩/١ ٨٨- يونس: ٥٧
- طاهر محمود بن محمد يعقوب، دكتور أسباب الخطأ في التفسير، رياض: دار ابن الجوزي
الطبعة الأولى ١٤٢٥، ٢٠١٠/٢
- ٨٩- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، ١١٦/٧
- ٩٠- مسلم بن حجاج، القشيري، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم
- ٩١- المائدة: ٩٣ ٩٢- الطلاق: ٤ ٩٣- البقرة: ١١٥
- ٩٤- التغابن: ١٤ ٩٥- التغابن: ١٤ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ٥٠-٥٣
- ٩٦- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، جلد ٢، ص ٣٣٥
- ٩٧- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مقدمه في اصول التفسير، مصر- مكتبة التراث الاسلامي ١٩٩٠، ص ٦٧
- ٩٨- البقرة: ١٨٩
- ٩٩- البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وليس البر، حديث ٤٥١٢
- ١٠٠- ابي حيان، محمد بن يوسف، الاندلسي، تفسير البحر المحيط، بيروت: دار الفكر، ٦٣/٢